جامعة القصيم
Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة
College of Science and Arts in Unaizah

كرسي الشيخ ابن عثيمين
للدراسات الشرعية

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

آثاره العلمية والدعوية

الجزء الأول

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

(01)
مظاهر إبراز ابن سعدي لهدايات القرآن
د. نايف بن يوسف العتيبي

الرعاة

مصرف الإنماء
alinma bank

سبكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

القاضي

مظاهر إبراز السعدي

لهدايات القرآن

د/ نايف بن يوسف العتيبي

أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإنَّ القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي معارفه؛ فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك شوقاً، وفُتِح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وقد أنزل الله كتابه الكريم هدىً للناس قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] قال السعدي رحمه الله: «فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني؛ لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين؛ فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم»[1].

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٠).

وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة: ١٨٥] قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: ودلائل وحُجَج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبَّرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال والحرام»(١).

ومن تَدَبُّرِ القرآن الكريم النظرُ في هداياته واستخراج فوائده وعظاتِه والاهتداء بأنواره وآياته، ومن تأمل في القرآن الكريم وجد فيه أنواعاً من الهدايات؛ في العقائد والأحكام والأخلاق.

ولذلك اعتنى كثيرٌ من المفسرين ببيان هدايات القرآن وإظهارها؛ من ذلكم الإمام العلَّامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ولا يجد القارئ في كتبه ريباً في ذلك؛ فقد اعتنى بذلك عناية بالغة، وقد ألَّف رحمه الله عدة كتب اهتم فيها بإبراز هدايات القرآن، وممَّا امتازت به مؤلفاته سهولة عبارتها ووضوح معانيها؛ فهي في متناول عامة الناس ولا يستغني عنها العلماء.

وسيتناول هذا البحث -بعون الله وتوفيقه- مظاهر إبراز السعدي لهدايات القرآن الكريم، وسأذكر فيما يلي أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهداف البحث:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١/ من مقاصد إنزال القرآن هداية الناس.

٢/ أنَّ من أعظم أنواع علوم القرآن هداياته.

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩).

٣/ عِظَمُ حاجة الناس لإبراز هدايات القرآن.

٤/ عناية السعدي بإبراز هدايات القرآن.

ثانياً: أهداف البحث:

١/ إبراز علم الهدايات.

٢/ إبراز اهتمام المفسرين بالهدايات.

٣/ إبراز جهود الشيخ السعدي رحمه الله في إظهار هدايات القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع وقفت على بعض الدراسات حول الهدايات وهي:

١/ الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، إعداد أ.د. طه عابدين، ود. ياسين بن حافظ قاري، ود. فخر الدين الزبير علي. تحت إشراف كرسي الملك عبدالله.

وهي دراسة فريدة تعنى بالتأصيل لعلم الهدايات.

٢/ من هدايات سورة الفاتحة، أ.د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

وهي في الأصل دروسٌ قام بها المؤلف، ثم جمعت بعد ذلك.

٣/ هدايات القرآن في سورة الجمعة، محمد مصطفى عبدالمجيد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية.

٤/ آيات آل البيت الدلائل والهدايات، د. منصور بن حمد العيدي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

٥/ منهج الشيخ ابن عثيمين في بيان الهدايات القرآنية من خلال سورة الأنعام، د. أحمد بن مرجي الفالح. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٦٨).

وهذه الدراسات وإن كانت في الهدايات إلا أنَّها ليست مختصة بتفسير السعدي كما هو المراد من هذه الدراسة.

٦/ فتح السميع العليم في الفوائد المنتقاة من تفسير علامة القصيم عبدالرحمن بن ناصر السعدي المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمع وترتيب أحمد بن محمد العمران.

وهذا الكتاب مع شموله وتوسُّعِه؛ إلا أنَّه ليس دراسة أكاديمية، وقد رُتِّب على سور القرآن، ولم يشمل جميع كتب الشيخ التي تتعلق بالقرآن؛ فقد ذكر المؤلف أنَّها فوائد منتقاة من تيسير الكريم الرحمن، وبعض الفوائد القليلة من القواعد الحسان وتيسير اللطيف المنان.

٧/ استنباطات الشيخ السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، د. سيف بن منصور الحارثي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد اقتصر فيها الباحث على الاستنباطات كما ذكر في حدود البحث؛ ومعلومٌ أنَّ الهدايات أعم من الاستنباطات.

٨/ منتقى الآداب من تفسير السعدي، عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي.

وهي مجموعة آداب وأخلاق بلغت أربعة وخمسين استخرجها المؤلف من تفسير السعدي.

وبذلك يتبين أنَّه لا يوجد دراسة تدور حول ما قصدت من هذا البحث.

خطة البحث:

تتكون من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة كما يلي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث

والدراسات السابقة.

التمهيد، ويتضمن أمرين:

الأول: تعريف موجز بالسعدي.

الثاني: المراد بالهدايات القرآنية.

المبحث الأول: إبراز هدايات السور.

المبحث الثاني: إبراز هدايات الآيات.

المبحث الثالث: إبراز هدايات القصص القرآنية.

المبحث الرابع: إبراز هدايات الأمثال القرآنية.

المبحث الخامس: إبراز هدايات القرآن من خلال ذكر بعض القواعد القرآنية.

المبحث السادس: إبراز هدايات القرآن من خلال تأليف كتب اشتملت على ذكر هدايات القرآن.

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد.

التمهيد

أولاً: ترجمة موجزة للشيخ السعدي:

هو الشيخ أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من بني العنبر من بني عمرو أحد أفخاذ بني تميم.

ولد رحمه الله في بلدة (عنيزة) في منطقة القصيم في الثاني عشر من شهر محرم سنة سبعٍ وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية.

وقد نشأ الشيخ نشأة دينية وعلمية؛ فأمَّا ما يتعلق بالدين فقد كان حريصاً على الفرائض والنوافل وحب الأعمال الصالحة منذ صغره، وأمَّا يتعلق بالعلم؛ فقد عرف عنه حرصه على ذلك منذ سن مبكرة؛ فحفظ القرآن وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واجتهد في طلب العلم على مشايخ بلده، وقد حصَّل رحمه الله في وقتٍ قصيرٍ كثيراً من العلوم والفنون، بفضل الله عز وجل، وبما منَّ الله عليه من الفطنة والذكاء وقوة الحافظة.

وقد أصبح للشيخ بعد ذلك مكانةٌ علمية عالية كان لها أثرٌ في نشر العلم والدعوة إلى الله عز وجل، ومما يتصل بذلك كثرة مؤلفاته، فقد بلغت أكثر من تسعين كتاباً ورسالة اشتهرت بين الناس ونالت عناية العلماء والباحثين وطلبة العلم.

وقد توفي الشيخ رحمه الله في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ست وسبعين وثلاثمائة في عنيزة بعد عمر دام تسعاً وستين سنة[1].

---

(١) للاستزادة ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢١٨-٢٧٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٢٢٠-٢٣١) مجموعة مؤلفات الشيخ (١/ ٤٩-٣٨١).

ثانياً: المراد بالهدايات القرآنية:

الهدايات جمع هداية، وهي من الهدى، وهي في اللغة بمعنى: الإرشاد والدلالة[1]، وقال ابن فارس رحمه الله: الهاء والدال والحرف المعتل أصلان: أحدهما: التقدُّمُ للإرشاد، والآخر: بَعْثَةٌ لَطَفٍ[2]. وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الهداية: دلالة بلطف»[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «والهداية: الدلالة بتلطف؛ ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول؛ لأن التلطف يناسب من أريد به الخير»[4].

ويلاحظ من خلال هذه التعاريف أنَّ الهداية والهدى تدور حول الدلالة والإرشاد والتلطُّف؛ ولذلك فإنَّ المتأمل في هدايات القرآن الكريم يجدها تدور حول هذه المعاني.

ونستطيع أن نقول: إنَّ الهداية القرآنية هي « الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر»[5].

ويحسن بنا أن نذكر هنا الألفاظ التي يعبر بها المفسرون عن الهدايات؛ من أهمها:

١/ الدلالة.

---

(١) ينظر الصحاح (٦/ ٢٥٣٣) لسان العرب (١٥/ ٣٥٣).

(٢) ينظر معجم مقاييس اللغة (٦/ ٤٢).

(٣) ينظر المفردات في غريب القرآن (٨٣٥).

(٤) ينظر التحرير والتنوير (١/ ١٨٧).

(٥) ينظر الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٤٤).

٢/ الإرشاد.

٣/ الفائدة.

٤/ البيان.

٥/ الإشارة.

٦/ الفهم.

٧/ الأخذ.[١]

هذه هي الألفاظ المشتهرة عند المفسرين، ومن العبارات التي وقفت عليها عند السعدي: ما يعبر عنها بالاشتمال، أو التضمن، أو الحِكَمة، أو التصريح؛ وقد وجدتُ السعدي رحمه الله يعبر بالقاعدة القرآنية، وعند التأمل يجد القارئ أنَّها من الهدايات، وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله، وربما يفهم من سياق كلام السعدي أنه أراد به ذكر الهداية القرآنية.

(١) ينظر الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٥٨-٧٠).

المبحث الأول: إبراز هدايات السور:

للشيخ رحمه الله وقفات مع بعض السور في ذكر ما تضمنته من فوائد وأحكام؛ من ذلك بيان ما دلت عليه السورة من قضايا مهمة يحتاجها المسلم؛ كما في سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن[1]؛ فقد قال في خاتمتها: فهذه السورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن؛ فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وتوحيد الإلهية؛ وهو إفراد الله بالعبادة؛ يؤخذ من لفظ: (الله)، ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ٢]، كما تقدم، وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ؛ لأنَّ ذلك ممتنع بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وأنَّ الجزاء يكون بالعدل؛ لأنَّ الدين معناه الجزاء بالعدل، وتضمنت إثبات القدر، وأنَّ العبد فاعل حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية؛ بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأنَّه معرفة الحق والعمل به، وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك، وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادةً واستعانةً في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فالحمد لله رب العالمين[2].

---

(١) يدل لذلك حديث أبي سعيد بن المعلَّى أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١٣) كتاب فضائل القرآن. باب فضل فاتحة الكتاب. حديث رقم: (٤٧٢٠).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٩).

ومما اهتم به الشيخ رحمه الله بيان المعنى العام والمقصد الأهم من السورة؛ من ذلك ما ذكره في أثناء تفسير سورة الأنعام حيث قال: «اعلم أنَّ هذه السورة الكريمة قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله»[1].

والشيخ رحمه الله يستفيد من بعض الألفاظ الواردة في السورة لبيان فوائدها وهداياتها؛ من ذلك قوله في تفسير سورة الفرقان: «كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ ثلاث مرات؛ لأنَّ معناها كما تقدم أنَّها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه؛ وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته، وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن»[2].

وقد يختم السورة بذكر ما اشتملت عليه من معاني وهدايات؛ من ذلك قوله خاتمة في تفسير سورة ص: «فهذه السورة العظيمة مشتملة على الذكر الحكيم والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين على من كذَّب بالقرآن وعارضه وكذَّب من جاء به، والإخبار عن عباد اللّه المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين؛ فلهذا أقسم في أولها بأنَّه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين»[3].

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٢٥١).

ومن الأمثلة على ذلك ما ختم به تفسير سورة الإخلاص. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٧).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٥٨٦).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٧١٧).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خاتمة تفسير سورة الماعون. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٥)

وقد يختم تفسير السورة بسرد بعض الفوائد المأخوذة من السورة؛ من ذلك ذكره لفوائد سورة الجن حيث قال: «وفي هذه السورة فوائد كثيرة[1]؛ منها:

١/ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس؛ فإنَّ الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

٢/ أنَّ هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبيَّنت حالة الخلق، وأنَّ كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأنَّ الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم إذا كان لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا، بل ولا يملك لنفسه عُلِم أنَّ الخلق كلهم كذلك؛ فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلها آخر مع الله.

٣/ أنَّ علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصَّه بعلم شيء منها»[2].

وأريد أن أبين هنا أنَّ الشيخ رحمه الله لم يلتزم منهجا واحدا في ذكر هدايات السور؛ بل اختلفت طرقه في تناول ذلك كما سبق، وهناك كثيرٌ من السور لم يذكر فيها شيئاً، وإنَّما اكتفى بذكر هدايات بعض الآيات كما سيأتي.

وخاتمة تفسير سورة الفلق. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٧).

(١) اكتفيت بذكر ثلاث فوائد فقط؛ وهكذا في جميع الأمثلة التي نقلتها من تيسير الكريم الرحمن وزادت فوائدها على الثلاثة فإني اكتفيت بذكر ثلاثة فقط خشية الإطالة.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨٩١).

ولم ينص الشيخ على لفظ (فوائد) قاصداً بذلك فوائد السورة إلا في تفسير هذه السورة حسب ما وقفت عليه.

المبحث الثاني: إبراز هدايات الآيات:

من مظاهر إبراز الشيخ لهدايات القرآن تناوله لهدايات الآيات، وممَّا تميَّز به الشيخ في تفسيره وفي كثير من مؤلفاته وقوفه عند كثيرٍ من الآيات واستخراجُ فوائدها ومكنون هداياتها.

وإنَّ المتأمل يجد بروع الشيخ في هذا المجال؛ فتجد أنَّه يفسر الآيات ثم يردف ذلك بما فتح الله عليه من فوائد كثيرة؛ ومن الأمثلة على ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١١٠]: «وفي هذه الآيات فوائد عدة:

١/ أنَّ اتخاذ المسجد الذي يُقصد به الضِّرار لمسجد آخر بقربه أنَّه محرم، وأنَّه يجب هدم مسجد الضِّرار الذي اطُّلِع على مقصود أصحابه.

٢/ أنَّ كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنَّها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أنَّ كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها؛ لأنَّ اللّه علَّل اتخاذهم لمسجد الضِّرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة للّه ورسوله.

٣/ أنَّ المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضِّرار،

ونُهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن، كما أثرت في مسجد قباء حتى قال الله فيه: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾؛ ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره حتى كان صلى الله عليه وسلم يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه»[1][2].

وربما اكتفى بذكر فائدة واحدة؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]: «وفي قوله: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فائدة لطيفة؛ وهو أنَّ إخفاءها خير من إظهارها إذا أعطيت للفقير»[3].

وربما نص الشيخ على موضوع الآية ثم ذكر الفوائد المستخرجة منه؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: «من فوائد التدبر لكتاب الله: أنَّه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنَّه كلام الله؛ لأنَّه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا؛ فترى الحِكَم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة لا ينقض بعضها بعضا؛ فبذلك يُعلم كمال القرآن وأنَّه من عند من

---

(١) مما يدل لذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩٩) كتاب الصلاة. باب من أتى مسجد قباء كل سبت. حديث رقم: (١١٣٥)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٢٠١٦) كتاب الحج. باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته. حديث رقم: (١٣٩٩).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٥١).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٥٨).

أحاط علمه بجميع الأمور»[1].

فنلاحظ هنا أنَّ الشيخ رحمه الله وقف عند تدبر القرآن -وهو موضوع الآية- وذكر أهميته ببيان فوائده؛ ولا شك أنَّ التدبر من الأمور المهمة التي ينبغي للمفسر أن يقف عنده ويبين فضله وأهميته.

ومن الآيات التي يقف عندها الشيخ ما يتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وبيان اعتناء الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]: «في هذا التخيير فوائد عديدة:

١/ الاعتناء برسوله صلى الله عليه وسلم، وغيرته عليه أن يكون بحالة يشُقُّ عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

٢/ تنزيهه عمَّا لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على اللّه ورسوله والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

٣/ إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن أن كان اللّه ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن دون الدنيا وحطامها»[2].

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٨٩).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير الآية (١٨٦) من سورة آل عمران. ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٦٠).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦٦٢).

وممَّا يُلاحظ قوة فهم الشيخ ودقة استخراجه للفوائد والهدايات من بعض الآيات؛ فهناك بعض الفوائد قد لا يلاحظها القارئ من الآية من أول وهلة؛ لكن الشيخ رحمه الله تميز في هذا؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]: «ويستفاد من إشارة الآية أنَّه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب الذي قد جُعل له موصلا؛ فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه؛ فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[1].

وممَّا اهتم به الشيخ عناية بالغة الهدايات القرآنية التي تتعلق بالعقيدة؛ نظراً لأهميتها ومكانتها من الدين، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١ - ٦]: «تضمَّنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨٨).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير الآية (٢٢١) من سورة البقرة. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٩)، والآية (٣٤) من سورة النساء. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٣٩).

إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات الشرائع الكبار، وأنَّها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته»[1].

والشيخ لا يغفل الفوائد الفقهية؛ بل ينبه عليها؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]: «دلت هذه الآية على أمور:

١/ لطف الله بعباده ورحمته لهم حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكُّوه ممَّا صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه.

٢/ اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما؛ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ مع ما تقدم من تحريم المنخنقة؛ فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يبح هذا بناء على أنَّ الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنيابها أو مخالبها؛ والمشهور أنَّ الجوارح بمعنى الكواسب[2]؛ أي: المحصِّلات للصيد والمدركات لها؛ فلا يكون فيها على هذا دلالة - والله أعلم- .

٣/ جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح[3]، مع أنَّ اقتناء

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٢١).

(٢) ينظر جامع البيان (٨/ ٩٩) الكشف والبيان (٤/ ٢٠) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩٩).

(٣) وهو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتنى كلبا ليس بكلب ماشية أو ضارية نقص كل يوم من عمله قيراطان). أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٠٨٨) كتاب الذبائح والصيد. باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية. حديث رقم: (٥١٦٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٠٣) كتاب

الكلب محرم؛ لأنَّ من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه»[1].

وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بذكر هدايات القرآن في كتابه تيسير اللطيف المنَّان؛ ومن طريقته فيه أن ينص على فائدةٍ بعينها ويذكر أدلتها من القرآن؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله: «فائدة: طغيان الرئاسة وطغيان المال يحملان صاحبهما على الكبر والبطر والبغي على الحق وعلى الخلق، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦ - ٧]؛ فعلَّلَ هذا التجرؤ والطغيان بحصول الملك ورؤيته لنفسه الاستغناء؛ أمَّا الموفقون الأصفياء؛ فإنَّهم في هذه الأحوال يخضعون لله ويعترفون له بالنعمة ويزداد تواضعهم»[2].

ومن مؤلفات الشيخ التي اعتنى فيها بذكر هدايات الآيات كتاب (المواهب الربانية)؛ ومن الأمثلة على ذلك: قال رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]: «في هذه الآية فائدة عظيمة؛ وهي أنَّ العبد عليه أن يعتمد على الله، ويرجو فضله وإحسانه، ويعمل ما أبيح له من الأسباب، وأنَّه إذا انغلق عليه باب وسبب من الأسباب التي قدرها الله لرزقه؛ فلا يتشوش لذلك ولا ييأس من فضل الله، ويعلم أنَّ جميع الأسباب مستندة إلى مسببها؛ فيرجو الذي أغلق عليه هذا الباب أن يفتح له باباً من أبواب الرزق

المساقاة. باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك. حديث رقم: (١٥٧٥). واللفظ للبخاري.

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٢٢١).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٣١١).

أوسع وأحسن من الباب الأول»[1].

وكذلك كتابه (فتح الرحيم الملك العلَّام)، ومن الأمثلة على ذلك: ذكر رحمه الله عدة آيات تحدثت عن الطلاق منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] ثم قال: «يستفاد من هذه الآيات أحكام كثيرة في الطلاق والرجعة والعدة، تقدم أنَّ الله حث على إمساك النساء والصبر عليهن، وأنه عسى أن يكون فيه خير كثير، وهذا يدل على محبة الله للاتفاق بين الزوجين وكراهته للفراق، وهذه الآيات دالة على إباحة الطلاق وهو من نعمه على عباده، إذ فيه دفع ضرر ومشاق كثيرة عند الاحتياج إليه»[2]

ولم يقتصر الشيخ على لفظ (فائدة) في ذكر الهدايات؛ بل استخدم لفظ (الدلالة) كما سبق، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]: «وهذه الآية وما أشبهها دلَّت على أنَّ اللّه بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنَّهم بعثوا بصلاح الدارين؛ فكل من كان أصلح كان أقرب إلى اتباعهم»[3].

وكذلك لفظ (التضمن)؛ ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره رحمه الله عند

---

(١) المواهب الربانية (٤٥).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند الآية (١٤) من سورة الصف. ينظر المواهب الربانية (٢٢-٢٣).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (١٤٧-١٤٨).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٠٧).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال: [٤٥ - ٤٧]: «هذه الآيات تضمنت الأمر بجهاد الأعداء، والإرشاد إلى الأسباب التي ينبغي للجيوش والمجاهدين الأخذ بها؛ فمن أعظمها وأهمّها أمران: الصبر؛ وهو الثبات التام وإبداء كل مجهود في تحصيل ذلك، والثاني: التوكل على الله، والتضرع إليه، والإكثار من ذكره؛ فمتى اجتمع الأمران على وجه الكمال والتكميل؛ فقد أتى المجاهدون بالأسباب الوحيدة للنصر والفلاح؛ فليبشروا بنصر الله وليثقوا بوعده»[1].

وقد لا ينص الشيخ على لفظ من ألفاظ الهدايات؛ لكن يفهم من أسلوبه أنه أراد من كلامه الهداية المستفادة من الآية؛ ومن الأمثلة على ذلك: قال رحمه الله: لا يمنع الله تعالى عبده شيئاً إلا فتح له باباً أنفع له منه وأسهل وأولى؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]: «فمنع الله من تمني ما فضل الله به بعض العبيد على بعض، وأخبر أنَّ كل عامل من الرجال والنساء له نصيب وحظ من كسبه؛ فحضَّ الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع، ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، ودعاهم إلى سؤال ذلك بلسان الحال ولسان المقال، وأخبرهم بكمال علمه وحكمته، وأنَّ من ذلك أنَّه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تنال المطالب العالية إلا بالسعي والاجتهاد، والله الموفق لكل خير»[2].

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١١٠).

(٢) ينظر المواهب الربانية (٢٧-٢٨).

وأريد أن أختم هذا المبحث بذكر عدة أمور:

أولاً: أنَّ أكثر لفظة استخدمها في بيان هدايات الآيات: فائدة، وفوائد.

ثانياً: لم يلتزم بذكر فوائد جميع الآيات في تفسيره تيسير الكريم الرحمن.

ثالثاً: تكراره لبعض الفوائد في كتابيه تيسير الكريم الرحمن وتيسير اللطيف المنان.

المبحث الثالث: إبراز هدايات القصص القرآنية:

وردت في القرآن الكريم قصص كثيرة فوائدها غزيرة وعبرها نثيرة؛ قال ابن عاشور رحمه الله: «إنَّ في تلك القصص لعبراً جمَّة وفوائد للأمَّة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرِض عما عداه ليكون تعرُّضُه للقصص منزَّهاً عن قصد التفكُّه بها»[1].

وممَّا تميز به الشيخ السعدي رحمه الله وقوفه عند القصص التي وردت في القرآن الكريم واستخراجه للهدايات والفوائد منها.

ومن أعظم القصص التي وردت في القرآن الكريم قصص الأنبياء عليهم السلام؛ وقد اهتم الشيخ رحمه الله بهذه القصص وأفاض في ذكر الهدايات والعبر منها، وقد ظهر لي من خلال ما وقفت عليه أنَّ الشيخ قد أتى على جميع هذه القصص مُتبعاً ذلك بالفوائد والهدايات، ولو أتيت عليها في هذا المبحث لطال بنا المقام؛ لكن سأذكر بعض الأمثلة التي تبين جهد الشيخ رحمه الله في هذا المجال.

ومن أطول قصص الأنبياء التي جاءت في القرآن قصة يوسف عليه السلام حيث جاءت في سورة كاملة؛ ولذلك فقد ختم رحمه الله تفسير سورة يوسف عليه السلام بذكر فوائد كثيرة من قصته تجاوزت الأربعين فائدة منها:

١/ أنَّ هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقُّلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنَّة، ومن ذُل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن

(١) ينظر التحرير والتنوير (١/ ٦٤).

إنكار إلى إقرار؛ فتبارك من قصَّها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها.

٢/ أنَّه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف: ٥].

٣/ الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها؛ فإنَّ امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توحُّدِها بيوسف، وحبها الشديد له الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسُجِن بسببها مدة طويلة[١].

وقد ذكر رحمه الله هذه الفوائد في كتابه (تيسير اللطيف المنان)[٢] مع بعض الاختلاف في العبارات والألفاظ.

وذكر رحمه الله فوائد عدة من قصة موسى عليه السلام مع الخضر المذكورة في سورة الكهف؛ منها:

١/ فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنَّه أهم الأمور؛ فإنَّ موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل؛ لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

٢/ التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا﴾ [الكهف: ٦٦]؛ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة.

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٠٧).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٧١-٢٨٦).

٣/ أنَّ العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته[١].

وقد ذكر رحمه الله الفوائد نفسها في كتابه (تيسير اللطيف المنان)[٢] مع اختلاف في بعض الألفاظ، وكذلك ذكرها باختصار في (فتح الرحيم الملك العلام)[٣].

والشيخ رحمه الله يقف عند قصص الأمم السالفة ويذكر الفوائد والعبر منها؛ ومن الأمثلة على ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٢]: «وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب:

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٨٢).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٥٤-٢٥٩).

(٣) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٦١).

ومن الأمثلة على ذكره لهدايات قصص الأنبياء ما ذكره من فوائد من قصة موسى عليه السلام المذكورة في سورة القصص. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦١٨). وقصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه المذكورة في سورة الذاريات. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨١١). وقصة داود وسليمان عليهما السلام. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٧١٢).

١/ أنَّ اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملإ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلمُّ متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم.

٢/ أنَّ العلم والرأي مع القوة المنفِّذة بهما كمال الولايات، وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها.

٣/ أنَّ الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر؛ فالأول كما في قولهم لنبيهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾[البقرة: ٢٤٦]؛ فكأنَّه نتيجة ذلك أنَّه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾»[1].

وكذلك قصة أصحاب الكهف؛ فقد علَّق عليها رحمه الله تعليقاً مفيداً حيث قال: «وفي هذه القصة دليل على أنَّ من فر بدينه من الفتن سلَّمَه الله منها، وأنَّ من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمَّل الذُّل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العِزُّ العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]»[2].

ومن القصص التي يقف عندها الغزوات التي حدثت في عهد النبي صلى الله

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٠٨).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٧٣).
وقد ذكرها باختصار في تيسير اللطيف المنان (٢١٧) ثم ذكر عدة فوائد من القصة.

عليه وسلم وأصحابه؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٤]: وفي هذه القصة من آيات اللّه العظيمة ما يدل على أنَّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رسول اللّه حقٌّ:

١/ أنَّ اللّه وعدهم وعداً، فأنجز هموه.

٢/ إجابة دعوة اللّه للمؤمنين لـمَّا استغاثوه بما ذكره من الأسباب؛ وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

٣/ أنَّ من لطف اللّه بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية[1].

وقد أفاض الشيخ رحمه الله في كتابه (تيسير اللطيف المنان) في ذكر الفوائد والهدايات من القصص القرآنية؛ خصوصاً قصص الأنبياء؛ منها على سبيل المثال لا الحصر قصة آدم عليه السلام فقد ذكر رحمه الله القصة ثم قال:

«فوائد مستنبطة من هذه القصة أصولية وفروعية وأخلاق وآداب، ثم ذكر

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣١٦).

رحمه الله فوائد كثيرة تتعلق بهذه القصة؛ منها:

١/ فضيلة العلم، وأنَّ الملائكة لـمَّا تبيَّن لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك كماله، وأنَّه يستحق الإجلال والتوقير.

٢/ أنَّ الله جعل هذه القصة لنا معتبرا، وأنَّ الحسد والكبر والحرص من أخطر الأخلاق على العبد، فكِبْر إبليس وحسده لآدم صيَّره إلى ما ترى.

٣/ أنَّه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة»[1].

ونلاحظ هنا أنَّ الشيخ رحمه الله أشار إلى تنوع الفوائد المستنبطة من القصة فمنها الأصولية ومنها الفروعية ومنها ما يتعلق بالأخلاق والآداب؛ وهذا يدل على دقة فهمه وحسن استفادته من هدايات القرآن.

ومن القصص التي ذكرها رحمه الله وأشار إلى فوائدها قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وذكر فيها ثلاث فوائد:

١/ أنَّ جميع الأنبياء دعوتهم واحدة، وأنَّ من كذَّب واحدا منهم فقد كذَّب الجميع، لأنَّه يكذِّب الحق الذي جاء به كل واحد منهم؛ ولهذا يقول في كل قصة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١٧٨-١٨١).

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قصة نوح. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٨٦-١٩٠)، وقصة بناء إبراهيم للبيت مع إسماعيل عليهما السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٠٩-٢١٤)، وقصة هود عليه السلام مع قومه. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٩٢-١٩٤)، وقصة يونس عليه السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٣٩)، وقصة داود وسليمان عليهما السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٤٨-٢٥٢)، وقصة عيسى عليه السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٧٠-٢٧١).

١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١].

٢/ أنَّ عقوبات الله للأمم الطاغية عند تناهي طغيانها وتفاقم جرائمها؛ فكُفرهم وتكذيبهم موجب للهلاك، ولكن تحتم الإهلاك عند تناهي إجرامهم؛ لأنَّ الله تعالى بالمرصاد؛ فيمهل ثم يمهل حتى إذا أخذهم، أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

٣/ أنَّ العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمن يحسن بهم الظن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقبول الحق، والحال أنَّها ليست في العير ولا في النفير، ولا لها مقام في الحجج الصحيحة الدالَّة على الحقائق؛ فلهذا أكبر ما رد به قوم صالح لدعوته أن قالوا: ﴿أَنَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، وقالت جميع الأمم المكذبة رادِّين لدعوة الرسل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣][1].

وكذلك ذكر رحمه الله قصة شعيب عليه السلام، ثم ذكر عدة فوائد منها:

١/ أنَّ بخس المكاييل والموازين خصوصاً، وبخس الناس أشياءهم عموما من أعظم الجرائم الموجبة لعقوبات الدنيا والآخرة.

٢/ فيه دلالة على أنَّ الصلاة سبب لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وللنصيحة لعباد الله، وقد علم ذلك الكفار بما قالوا لشعيب: ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

٣/ أنَّ الناصح للخلق الذي يأمرهم وينهاهم من تمام قبول الناس له: أنَّه إذا أمرهم بشيء أن يكون أول الفاعلين له، وإذا نهاهم عن شيء كان أول التاركين؛

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١٩٧).

لقول شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[هود: ٨٨][1].

ولعلِّي أقف عند هذه الفوائد؛ فالفائدة الأولى تهمُّ المجتمع والتعامل بين الناس، والفائدة الثانية تتحدث عن شعيرة عظيمة وهي الصلاة؛ وفيها إشارةٌ إلى أهميتها وثمراتها، والفائدة الثالثة فائدةٌ مهمةٌ ونصيحةٌ نفيسةٌ للداعية الذي يقوم بدعوة الناس.

وهذا يدلِّل ما ذكرناه سابقًا من تنوع الهدايات التي يستخرجها الشيخ من الآيات والقصص.

وقد يذكر الشيخ رحمه الله القصة ثم يذكر المقصد الأهم من القصة؛ من ذلك قصة لوط عليه السلام، وممَّا قاله ممَّا يستفاد منها: «وفي هذه القصة أكبر دليل على أنَّ فاحشة اللواط من أشنع القبائح، وأنَّها توجب العقاب الشديد، وأنَّ من ابتلي بهذه الفاحشة فمع ذهاب دينه قد انقلب عليه الحسن بالقبيح؛ فاستحسن ما كان قبيحا ونفر من الطيب؛ وذلك دليل على انحراف الأخلاق»[2].

ولعلِّي أختم هذا المبحث ببعض الأمور:

أولاً: ذكر رحمه الله جميع القصص القرآنية واستخرج فوائدها.

ثانيًا: أنَّ ممَّا تميز به كتاباه (تيسير الكريم الرحمن)، و(تيسير اللطيف المنان) الوقوف عند القصص القرآني واستخراج الفوائد منها.

ثالثًا: تكرار كثير من الفوائد في كتابيه.

رابعًا: حسن ربطه لما يستخرجه من فوائد بالواقع.

---

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٢٠-٢٢٢).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢١٧).

المبحث الرابع: إبراز هدايات الأمثال القرآنية:

من أساليب القرآن الكريم في الهداية والبيان ضرب الأمثال؛ فقد احتوى على أمثال كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] قال الشنقيطي رحمه الله: «أي: ردَّدْنا وكثَّرْنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلى الحق»[(١)].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله فوائد الأمثال في القرآن، فقال: «ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس»[(٢)].

وقال السعدي رحمه الله: «فإنَّ في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه»[(٣)].

ولهذا اهتم الشيخ رحمه الله ببيان هدايات الأمثال التي وردت في القرآن، ومن أمثلة اهتمام الشيخ بالأمثال قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]: «وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه؛ فإنَّهم فكَّروا وقدَّروا فيما جاءت به الرسل لـمَّا كذبوهم وجعلوا لهم أصولا

(١) ينظر أضواء البيان (٤/ ١٦٨).
(٢) ينظر بدائع الفوائد (٤/ ١٣١٤).
(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٢٥).

وقواعـد من الباطل يرجعون إليها، ويردُّون بها ما جاءت به الرسـل، واحتالوا أيضا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم؛ فصار مكرهم وبالاً عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم»[1].

فانظـر كيـف بيّن الشـيخ رحمـه الله الهداية المـرادة من هذا المثل وحسـن استفادته منه؛ وهي في بيان إبطال مكر أعداء الله.

ومن الأمثلة أيضـا: قوله رحمه الله: «وجعل الله ضرب الأمثال في كتابه طريقـاً عظيمـاً من طرق التعليم الذي تتبين وتتوضح به المطالب العالية والعقائد الصحيحة والفاسـدة، كما مثَّل كلمـة التوحيد والعقيدة الحقـة الصحيحة: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ومثَّل ضد ذلك بالشـجرة الخبيثة التي لا لها أصل ثابت ولا فرع نافع، ومثَّل المشرك بربه كالعبد الذي يتنازعه شركاء متشاكسون، والموحد المخلص لله السالم من تعلقه بغيره»[2].

ومِمَّـا يـدل على اهتمام الشـيخ بهدايات الأمثـال أنَّه عنونَ لذلـك قاعدةً في كتابه (القواعد الحسان) بعنوان: القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد أمثلة القرآن؛ وقـال تحتها: «اعلم أنَّ القـرآن الكريم احتوى على أعلى وأكمـل وأنفع المواضيع التـي يحتاج الخلق إليهـا في جميع الأنواع؛ فقد احتوى على أحسـن طرق التعليم، وإيصـال المعاني إلى القلوب بأيسـر شـيء وأوضحـه؛ فمن أنواع تعاليمـه العالية: ضـرب الأمثال؛ وهـذا النوع يذكـره الباري سـبحانه في الأمور المهمـة، كالتوحيد وحال الموحد والشـرك وحال أهله، والأعمال العامـة الجليلة؛ ويقصد بذلك كلِّه توضيـح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسـة؛ ليصير القلب كأنَّه يشـاهد

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٣٨).
(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٣٥٦).

معانيها رأي العين؛ وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»[1].

ثم ذكر كثيراً من الأمثال التي جاءت في القرآن وما تضمنته من هدايات؛ ومنها قوله: «ومثَّل الله الأعمال بالبساتين؛ فذكر العمل الكامل الخالص له الذي لم يعرض له ما يفسده كبستان في أحسن المواضع وأعلاها، تنتابه الرياح النافعة، وقد ضَحَى وبرز للمشمس، وفي خلاله الأنهار الجارية المتدفقة؛ فإن لم تكن غزيرةً فإنها كافيةٌ له كالطل الذي ينزل من السماء، ومع ذلك فأرضُه أطيب الأراضي وأزكاها؛ فمع توفر هذه الشروط لا تسأل عمَّا هو عليه من زَهاءِ الأشجار وطيب الظلال ووفور الثمار؛ فصاحبه في نعيم ورغد متواصل، وهو آمن من انقطاعه وتلفه؛ فإن كان هذا البستان لإنسان قد كبر وضعف من العمل، وعنده عائلة ضعاف لا مساعدة منهم ولا كفاءة، وقد اغتبط به حيث كان مادته ومادة عائلته، ثم إنَّه جاءته آفة وإعصار أحرقه وأتلفه عن آخرهم؛ فكيف تكون حسرة هذا المغرور؟ وكيف تكون مصيبته؟ وهذا هو الذي جاء بعد العمل بما يبطل عمله الصالح من الشرك أو النفاق أو المعاصي المحرقة؛ فيا ويحه، بعد ما كان بستانه زاكيا أصبح تالفا قد أيس من عوده وبقي بحسرته مع عائلته.

فهذا من أحسن الأمثال وأنسبها؛ فقد ذكر الله صفة بستان من ثبته الله على الإيمان والعمل الصالح، وبستان من أبطل عمله بما ينافيه ويضاده، ويؤخذ من ذلك أن الذي لم يوفق للإيمان ولا للعمل أصلا أنه ليس له بستان أصلاً»[2].

ومما ذكره أيضاً ما ختم به هذه القاعدة: «ومثَّل الله الحياة الدنيا وزهرتها والاغترار بها بحالة زهرة الربيع تعجب الناظرين، وتغر الجاهلين، ويظنون بقاءها

(١) ينظر القواعد الحسان (٦١).
(٢) ينظر القواعد الحسان (٦٤).

ولا يؤَمِّنون زوالها؛ فَلَهَوا بها عمَّا خُلِقوا له؛ فأصبحت عنهم زائلة وأضحوا لنعيمها مفارقين في أسرع وقت كهذا الربيع إذا أصبح بعد الاخضرار هشيماً، وبعد الحياة يبساً رميماً؛ وهذا الوصف قد شاهده الخلق واعترف به البر والفاجر؛ ولكنَّ سكر الشهوات وضعف داعي الإيمان اقتضى إيثار العاجل على الآجل»[1].

وأريد أن أبين هنا بعض الأمور:

أولاً: الشيخ وإن اهتم بهدايات الأمثال، إلا أنَّه أقل من اهتمامه بهدايات القصص.

ثانياً: لم يستخدم الشيخ الألفاظ التي تدل على الهدايات عند تعرضه للأمثال؛ لكنَّها تفهم من سياق كلامه؛ وإن كان استخدم لفظ (يؤخذ) في المثال الأول المذكور من كتاب (القواعد الحسان).

(١) ينظر القواعد الحسان (٦٦).

المبحث الخامس: إبراز هدايات القرآن من خلال ذكر بعض القواعد القرآنية:

مِمَّا امتاز به الشيخ السعدي رحمه الله ذكره لقواعد قرآنية؛ وعند التأمُّل فيها يُفهم أنَّه أراد بها هدايات قرآنية يهتدي بها قارئ القرآن.

ولهذا أفردتها بالذكر هنا وإن كانت داخلةً في المباحث السابقة؛ ولأنَّ لفظ القواعد القرآنية يكاد الشيخ مما انفرد به من بين المفسرين؛ وسأذكر بعض المواضع الذي استعمل فيها هذا اللفظ في تفسيره؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٠] : «وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة؛ وهو أنَّ ما قامت الأدلة على أنَّه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها؛ فإنَّه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة؛ سواءٌ قدر العبد على حلها أم لا؛ فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه؛ لأنَّ ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[يونس: ٣٢]، وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون؛ إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه»[1].

فقد أشار رحمه الله بهذه القاعدة الشريفة والهداية القرآنية إلى أمر عظيم يتعلق بعقيدة المسلم ومواجهة ما يتطرق إليها من شبهات.

وكذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٣٣).

فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥]: «يعاتب تعالى عباده عن التكلُّم بما لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا؛ فإنَّ ذلك القول منكم كذب وزور يترتب عليه منكرات من الشرع؛ وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء والإخبار بوقوع ووجود ما لم يجعله اللّه تعالى»[1].

وهذه القاعدة العامة قاعدة هامة تتعلق بحرمة الكذب والتكلم بغير علم؛ وما يترتب عليه من أضرار على الفرد والمجتمع.

ومن الأمثلة أيضاً قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]: «أي: العقول الكاملة؛ ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه؛ وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر؛ إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنوَّرت أفكارهم لمَّا أخذوه غضًّا طريًّا؛ فإنَّه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها؛ وهذه القاعدة إذا تدرَّب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة»[2].

وممَّا يدل على أنَّ الشيخ استعمل لفظ (القاعدة) للدلالة على الهدايات القرآنية ما ذكره من قواعد في كتابه (القواعد الحسان)؛ فإنَّه قد اشتمل على قواعد كثيرة؛ منها قواعد تفسيرية، ومنها قواعد ترجيحية، ومنها قواعد عند التأمل فيها يظهر دخولها في الهدايات القرآنية؛ وهو ما نريده هنا، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦٥٨).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٢٨).

١/ قال الشيخ رحمه الله: القاعدة الرابعة والعشرون:« التوسط والاعتدال وذم الغلو:

القرآن يرشد إلى التوسط والاعتدال، وذم التقصير والغلو، ومجاوزة الحد في كل الأمور؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾[الأعراف: ٢٩]؛ والآيات الآمرة بالعدل والإحسان والناهية عن ضدهما كثيرة؛ والعدل في كل الأمور: لزوم الحد فيها وأن لا يغلو ويتجاوز الحد، كما لا يقصر ويدع بعض الحق»[1].

وما أحوج الناس إلى هذه الهداية العظيمة التي ذكرت في القرآن الكريم، وأشار إليها الشيخ بهذه القاعدة القيمة؛ «فحصول الضلال في أحد هذين الجانبين: التقصير والتفريط أو الغلو والإفراط، وقد أرشد القرآن إلى الوسط والاعتدال.

٢/ القاعدة السادسة والخمسون: يرشد القرآن الكريم المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم، وأنَّه إذا لم يكن حصولها من الجميع؛ فليشتغل بكل مصلحة من مصالحهم من يقوم بها، ويوفر وقته عليها؛ لتقوم مصالحهم، وتكون وجهتهم جميعاً واحدة.

وهذه من القواعد الجليلة ومن السياسة الشرعية الحكيمة؛ فإنَّ كثيراً من المصالح العامة الكلية لا يمكن اشتغال الناس كلهم بها، ولا يمكن تفويتها؛ فالطريق إلى حصولها ما أرشد الله عباده إليه؛ قال تعالى في الجهاد والعلم اللذين هما من أعظم مصالح الدين: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ فأمر أن يقوم بالجهاد طائفة كافية وبالعلم طائفة أخرى؛ وأنَّ الطائفة القائمة

(١) ينظر القواعد الحسان (٦٨).

بالجهاد تستدرك ما فاتها من العلم إذا رجعت»[1].

وقد بين الشيخ بهذا القاعدة أنَّ القرآن يهدي الناس إلى ترتيب مصالحهم وشؤون حياتهم ومنافعهم، وهذا يدل على أنَّ القرآن يهدي إلى كل خير ويرشد الإنسان إلى كل بر.

٣/ قال الشيخ رحمه الله: القاعدة الثانية والستون: «الصبر أكبر عون على جميع الأمور، والإحاطة بالشيء عِلماً وخبراً هو الذي يعين على الصبر:

وهذه القاعدة عظيمة النفع قد دل القرآن عليها صريحا وظاهرا في أماكن كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥]، أي: استعينوا على جميع المطالب، وفي جميع شؤونكم بالصبر؛ فبالصبر يسهل على العبد القيام بالطاعات، وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وبالصبر يسهل عليه ترك ما تهواه نفسه من المحرمات»[2].

هذه بعض الأمثلة على القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله، ويظهر للقارئ نفاسة هذه القواعد، وعظيم معانيها، وتنوع ما دلت عليه.

(١) ينظر القواعد الحسان (١١٧).
(٢) ينظر القواعد الحسان (١٢٦).

المبحث السادس: إبراز هدايات القرآن من خلال تأليف كتب اشتملت على ذكر هدايات القرآن:

الشيخ السعدي رحمه الله عالمٌ اعتنى بكتاب الله عناية خاصة، وعاش مع تفسيره واستخراج هداياته عُمْراً طويلاً، ومِمَّا يدلك على ذلك تأليفه لكتب تتعلق بتفسير القرآن وهداياته؛ من قرأ وتأمل في هذه الكتب ظهر له اهتمام السعدي بهذا الكتاب العظيم؛ وتعجَّب مما وهبه الله من جمال أسلوبٍ ودقة فهمٍ وحسن عرضٍ؛ مِمَّا كان له أثرٌ في استفادة الناس من كتبه وعنايتهم بها.

وسأذكر هنا ما وقفت عليه من كتبه رحمه الله مما يتعلق بتفسير القرآن وعلومه:

أولا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام اللطيف المنان:

وهو كتابٌ ألَّفه في تفسير القرآن امتاز بميزات كثيرة منها إبراز هدايات القرآن سبق ذكر كثير منها في المباحث السابقة؛ ويحسن بي هنا أن أنقل ما ذكره عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «أمَّا بعد: فإنَّ تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة: منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه، ومنها: تجنُّب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره، ومنها: تجنُّب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد، ومنها: السير على منهج السلف في آيات الصفات؛ فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه؛ فهو عمدة في تقرير العقيدة، ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم؛ وهذا يظهر

جليـاً في بعض الآيات كآية الوضوء في سـورة المائدة؛ حيث اسـتنبط منها خمسـين حكمـا، وكما في قصة داود وسـليمان في سـورة ص؛ ومنها أنه كتاب تفسـير وتربية على الأخلاق الفاضلة، كما يتبين في تفسـير قوله تعالى في سـورة الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعـراف: ١٩٩]، ومن أجل هذا أشـير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم»[1].

ثانياً: تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن:

وهذا الكتاب هو في الأصل اختصار للكتاب السابق، ومِمَّا امتاز به ترتيبه على الموضوعـات التـي جاءت في القرآن؛ وهو ما يسـمَّى بالتفسـير الموضوعي، وهذا اللون من ألوان التفسـير معينٌ على تدبر القرآن واستخراج هداياته؛ ولعلِّي أذكر هنا ما قاله الشيخ رحمه الله في بدايته: «ووصفه بأنَّه كله صلاح -أي: القرآن- ويهدي إلى الإصلاح، وإلى أقوم الأمور وأرشـدها وأنفعها في كل شـيء من دون استثناء؛ وهذا الوصـف المحيط لا يخرج عنه شـيء؛ فهو إصلاح للعقائـد والقلوب، وللأخلاق والأعمـال، ويهدي إلى كل صـلاح ديني ودنيوي بحيث تقوم به الأمور، وتعتدل به الأحـوال، ويحصل به الكمال المتنوع من كل وجه بالإرشـاد إلى كل وسـيلة نافعة تؤدي إلى المقاصد والغايات المطلوبة؛ فلا سبيل إلى الهداية والصلاح والإصلاح لجميع الأمور إلا بسـلوك الطرق التي أرشد إليها القرآن، وحث العباد عليها؛ فمتى عرفـت أنَّ القـرآن العظيم موصـوف كله بهذه الأوصاف التي هـي أعلى الأوصاف وأكملها وأتمها وأنفعها للعبـاد، وأنَّه أعيدت فيه هذه المعاني الجليلة، ومزجت فيه مزجـا عجيبـا غريبا في كماله وحسـنه، فهمت أنَّ طالب العلم إذا وقف على تفسـير بعض الآيات تدرب بها، وتوسـل بها إلى معرفة بقية الآيات؛ لهذه الأسباب وغيرها

(١) ينظر القواعد الحسان (١١).

رأينا أن المصلحة تدعو إلى الاقتصار على خلاصة ذلك التفسير»[1]؛ راجين من الرب أن يتم نعمته، وأن يحصل به المقصود؛ ورأينا أن الأحسن أن نذكر كل موضوع على حدته؛ لما فيه من التقريب والسهولة وجمع المعاني التي من فن واحد في موضع واحد؛ مع أنَّه - كما تقدم - لا بد أن يدخل في آيات الأصول كثير من الفروع، وفي آيات الفروع كثير من الأصول، ويدخل فيها من الترغيب والترهيب والقصص شيء كثير؛ وهذا المزج العجيب من كمال القرآن وعظم تأثيره، فإنَّه كتاب تعليم يزيل الجهالات المتنوعة، وكتاب تربية يُقوِّم الأخلاق والأعمال؛ فهو يعلم ويقوم ويهذب ويؤدب بأعلى ما يكون من الطرق، التي لا يمكن للحكماء والعقلاء أن يقترحوا مثلها، ولا ما يقاربها[2].

وقد احتوى هذا التفسير على فوائد وهدايات كثيرة؛ سبق ذكر أمثلة منها في المباحث السابقة.

ثالثاً: القواعد الحسان المتعلِّقة بتفسير القرآن:

وقد اشتمل هذا الكتاب على قواعد كثيرة تعين على فهم القرآن وتفسيره؛ قال الشيخ رحمه الله: فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم جليلة المقدار عظيمة النفع تعين قارئها ومتأمِّلَها على فهم كلام الله، والاهتداء به[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن شيخه:« كتب ما تيسر من قواعد التفسير ما بلغ إحدى وسبعين قاعدة اشتملت على قواعد مهمة وفوائد جمَّة»[4].

---

(١) يريد تيسير الكريم الرحمن.
(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٧-٨).
(٣) ينظر القواعد الحسان (١٥).
(٤) ينظر التعليق على القواعد الحسان (٧).

وسبق بيان أنَّ هذا الكتاب قد اشتمل على قواعد كثيرة منها ما يتعلق بأصول الفقه، ومنها ما يتعلق بقواعد التفسير، ومنها ما يتعلق بقواعد الترجيح بين المفسرين[1]، ومنها ما هو فوائد وهدايات استخرجها الشيخ من الآيات سبق ذكر أمثلة منها في المبحث السابق.

رابعاً: المواهب الربانية من الآيات القرآنية:

وهذا الكتاب ألَّفه الشيخ في شهر رمضان؛ وهو عبارة عن فوائد ولطائف وهدايات كانت تعرض للشيخ أثناء قراءة القرآن؛ فأراد تقييدها في هذا المؤلَّف؛ قال رحمه الله في بدايته: «هذه فوائد فتح الله بها علي في هذا الشهر المبارك، نسأله المزيد من كرمه؛ آمين»[2].

وقال في خاتمته بعد أن تكلم على معنى اللطيف: «وأرجو من الله أن يكون ما نحن فيه من هذا النوع؛ فإنَّ جنس هذه الفوائد المذكورة في هذه الرسالة قد كانت تعرض لي كثيراً أثناء القراءة لكتاب الله؛ فأتهاون بها ولم أقيدها؛ فيضيع شيء كثير؛ فلمَّا كان أول يوم من هذا الشهر المبارك أوقع في قلبي أن أقيد ما يمر علي من الفوائد والمعاني التي لا أعلم أنها وقعت لي قبل ذلك؛ فعملت على هذا النمط حتى كان الانتهاء إلى لطف الله، كما كان الابتداء بلطف الله بهذه الرسالة اللطيفة»[3].

وقد سبق ذكر أمثلة من فوائد هذا الكتاب.

---

(١) وقد أصبح علم قواعد التفسير من العلوم المستقلة لها مفهومها الخاص عند أهل الاختصاص، وأُلِّفت فيه مؤلفات خاصة كقواعد التفسير جمعاً ودراسة للدكتور خالد السبت، وقواعد الترجيح بين المفسرين للأستاذ الدكتور حسين الحربي.

(٢) ينظر المواهب الربانية (١٤).

(٣) ينظر المواهب الربانية (١٢٩-١٣٠).

خامساً: فتح الرحيم الملك العلَّام في علم التوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن:

وهذا الكتاب كما هو ظاهر من عنوانه يتعلق بالقرآن الكريم؛ وقد قسَّمه الشيخ رحمه الله على أهم أنواع علوم القرآن؛ وهي:

١/ علم التوحيد.

٢/ علم الأخلاق.

٣/ علم الأحكام.

قال رحمه الله: «فرأيت الاقتصار على هذه الثلاثة أولى وأنفع وأحسن موقعاً، وكل واحد من هذه الثلاثة يقتضي كتاباً مطولاً وخصوصاً علم الأحكام؛ ولكن أتينا بمقاصدها ونصوصها من الكتاب، وجمعناها في فنِّها واختصرنا الكلام فيها اختصاراً لا يخل بالمقصود ولا يغلق العبارات؛ بل أتينا بذلك بعبارات واضحة ليس فيها حشو ولا تعقيد»[(١)].

وقد اشتمل في ثناياه على فوائد وهدايات تتعلق بالعلوم الثلاثة التي ذكرها؛ ومن أمثلة ذلك ما ختم به كتابه؛ قال: قوله: «﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ونحوها من الآيات؛ تدل على أنَّ من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضلَّ؛ لأنَّ الهدى محصور في هدى الله الذي أرسل به رسوله صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

---

(١) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٤).

(٢) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٦٥).

سادساً: الدَّلائل القرآنية في أنَّ العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي:

هذا الكتاب ألَّفه الشيخ لبيان أنَّ دين الإسلام اشتمل على كل ما هو خير وصلاح وهداية للبشرية، وأنَّه صالح لكل زمان ومكان؛ قال رحمه الله: « فهذه رسالة تتضمن البراهين القواطع الدالة على أنَّ الدين الإسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ورحمة وهداية وصلاح إصلاح مطلق لجميع الأحوال، وأنَّ العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة ضمن علوم الدين وأعماله»[1].

وطريقته في هذا الكتاب أنَّه قسمه على فصول؛ كلُّها إلا بضعاً منها افتتحها بآيات تؤيد ما قصده من تأليف الكتاب، ثم يذكر ما دلت عليه؛ وفي ضمن ذلك هدايات تظهر لمن تأملها؛ ومن أمثلة ذلك الفصل الذي استفتح به كتابه حيث قال: «فصل: قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] ؛ فهذه الآية الكريمة صرحت بأنَّ الله تعالى يقول الحق وهو الصدق واليقين في أخباره، والعدل والحكمة في أوامره ونواهيه؛ فكل ما أخبر به فهو حق وصدق نافع للعباد في إصلاح عقائدهم وأخلاقهم ودينهم ودنياهم، وكل ما أمر به فهو بر وخيرٌ وإحسان ونفع وبركة، وكل ما نهى عنه فهو شر وضرر وفساد لا فرق في هذا بين الأمور الدينية والدنيوية»[2].

سابعاً: فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام:

ذكر الله في كتابه الكريم قصة يوسف عليه السلام؛ وقد اشتملت هذه القصة

(١) ينظر الدلائل القرآنية (٣).
(٢) ينظر الدلائل القرآنية (٤-٥).

على فوائد عظيمة؛ ولذا حَرَص الشيخ على إفرادها في هذا الكتاب؛ قال رحمه الله: «فهذه فوائد مستنبطة من قصة يوسف صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين؛ فإنَّ الله تعالى قصَّها علينا مبسوطةً، وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف: ١١١]»[1].

وفوائد قصة يوسف ذكرها الشيخ رحمه الله في كتابيه (تيسير الكريم الرحمن)، و(تيسير اللطيف المنان)، وقد سبق الإشارة إلى ذلك؛ ولعل الشيخ أفردها بكتاب خاص لأهميتها، وكثرة الفوائد المستنبطة منها.

(١) ينظر فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام (٧).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في كتب الشيخ السعدي رحمه الله؛ فإنِّي أحمد الله على أن يسر لي إتمام هذا البحث، ولعلِّي أختمه بذكر بعض النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١/ اهتمام الشيخ بإبراز هدايات القرآن.

٢/ تعلُّق الشيخ بكتاب الله ومعايشته له.

٣/ من أهداف الشيخ من تَأليفه للكتب المتعلقة بالقرآن ربط الناس بكتاب الله.

٤/ عند التأمل في كثير من الفوائد التي ذكرها الشيخ يظهر دقة استخراجه للفائدة وحسن توجيهه لها؛ مما يكون له أثر في استفادة القارئ.

٥/ لفظة فائدة أو فوائد هي أكثر ما عبر به الشيخ عن الهدايات.

التوصيات:

١/ الفوائد التي نص عليها الشيخ بقوله (فوائد) أو (فائدة) أو نحوها كثيرة جداً؛ وبعضها يتعلق بالهدايات وبعضها يتعلق بالتفسير، وبعضها يتعلق باللغة، وبعضها يتعلق بالفقه. تصلح أن تكون بحثاً.

٢/ نشر هذه الهدايات والاستفادة منها في الخطب والمواعظ والدروس ففي كثير منها مناسبة للواقع ومعالجة لكثير من القضايا.

٣/ دراسة منهج الشيخ السعدي رحمه الله في عرض القصص القرآني.

٤/ دراسة منهج الشيخ في عرض الهدايات القرآنية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- استنباطات الشيخ السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، سيف بن منصور الحارثي، قناديل العلم، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه.
- آيات آل البيت الدلائل والهدايات، د.منصور بن حمد العيدي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
- التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: أ.د. حكمت بن بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠م.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة داخلة في الدين الإسلامي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مطابع الرياض.
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن محمد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٩٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط: مصطفى البُغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالرحمن بن صالح البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ه.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدَّمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.
- فتح السميع العليم في الفوائد المنتقاة من تفسير علامة القصيم عبدالرحمن بن ناصر السعدي المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمع وترتيب أحمد ابن محمد العمران، دار ابن الأثير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه،٢٠١١م.
- فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.
- قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الخُبر، الطبعة

الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدَّمام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- الكشف والبيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت.
- مجموعة مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار الميمان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٦ه، ٢٠١٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- من هدايات سورة الفاتحة، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- منتقى الآداب من تفسير السعدي، عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي، دار الحقيقة الكونية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ه، ٢٠١٣م.
- منهج الشيخ ابن عثيمين في بيان الهدايات القرآنية من خلال سورة الأنعام، د. أحمد بن مرجي الفالح. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٦٨).
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رمادي الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ه، ٢٠١١م.
- هدايات القرآن في سور يوم الجمعة دراسة تحليلية موضوعية، محمد مصطفى عبدالمجيد، دار المعالي، الطبعة الأولى.
- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، أ.د. طه عابدين طه حمد، ياسين بن حافظ قاري، فخر الدين الزبير علي، مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ه، ٢٠١٧م.